أدَبُ المَجَالس القَضَائيَّة
تَدَاخُلُ الهزل مَع الجِدّ في الأدَب

د. عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم
قسم الأدب- كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أدَبُ المَجَالِس القَضَائيَّة: تَدَاخُلُ الهزل مَع الجِدّ في الأدَب

د. عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم
قسم الأدب– كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يحاول هذا البحث تَسْلِيْطَ الضوء على أدب المجالس القضائية، والتَّجَاذب بين الجدِّ الذي يمثله القاضي بشخصيته المُهابة، والهزل الذي تمثله الانزياحات المتعددة في تصوير بعض القضاة الحمقى، أو بعض صور الأحكام الغريبة، أو الممارسات التي تتناقض مع الصورة الذهنية للقضاء، وربما اندرجت في عينة الدراسة بعض النماذج التي تصوِّر حذق القضاة، وفرط ذكائهم، وحيلهم في الوصول إلى الحقائق.

وحاولت جاهداً أن أبدأ بالتوصيف الموضوعي، فتناولت أبرز الموضوعات والأفكار التي شكَّلت ظاهرة متكررة في مدونات الأدب، من مثل:حديثهم عن الهروب من القضاء، وصورة القاضي الأحمق، وضعف القاضي أمام إغراء النساء، وغرائب الشهادات، وموضوعات أُخرى حاولت أن أشير إليها إشارةً عابرةً، رغبة في تقديم جملة من النصوص إلى القارئ، ووقوفه على أبرز ملامحها الموضوعية.

ثمَّ بذلت جهدي في الوقوف على أبرز الملامح الفنية البازغة في تلك النصوص، محاولاً إبراز خصوصية هذا الموضوع ، فالنصوص المروية في مجالس القضاء مَنبتٌ خصب لتطبيق النَّهج الحجاجي، كما أنَّ التعالق النَّصي مع القرآن الكريم يمثِّل أداة من أدوات الإقناع، أو التخلُّص، أو الإذعان، إضافةً إلى القوالب الموجزة الكثيفة التي تتقارب إلى حدٍّ كبير مع الأمثال، وتؤكِّد أهمية الكلمة الكثيفة في مجلس القاضي، وتأثيرها عليه، وعرَّجت في حديثي الفني عن النادرة بوصفها جنساً أدبياً مستقلاً، ومدى انطباق خصوصية هذا الجنس الأدبي على بعض النصوص، وختمت مقالتي بالاقتراب إلى ظاهرة الامتزاج والتداخل بين المقامات الجادَّة والهازلة في الأدب.

إنَّني بهذه المقالة أبتغي فتح شهية الدارسين والنقاد إلى مزيدٍ من البحث والتنقيب في كنوز تراثنا العربي، وفتح آفاقٍ بحثية لأدب المجالس القضائية بشكلٍ خاص، وأدب المجالس الأخرى بشكلٍ عام، واستثمار المنهج التداولي القائم على مفهوم الكفاءة التواصلية، والسلوك، والأفعال الكلامية، ومعرفة مدى تأثير اللغة في السلوك الإنساني، ومحاولة البحث في غايات امتزاج الجد بالهزل في أدبنا العربي، وربطه بالسلوك الإنساني العام، والاعتدال الكوني، ومدى نجاعته في ضبط الجدِّ، والنأي عن الكلل.

تقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ المتتبع لمدونات الأدب القديمة سَيَجِدُ كمَّاً لا بأس به من أدب القضاة، وأقاويلهم، ورواية ما دَارَ في مجالسهم. أفرَدَهُ بعضهم في أبوابٍ وفصولٍ خاصة، كصنيع أبي سعد الآبي ت ٤٢١هـ[١]، وأبي القاسم الزمخشري ت ٥٣٨هـ[٢]، وشهاب الدين النويري ت ٧٣٣هـ[٣]، ونَقَلَهَا بعضهم في أوعية التراجم، وذِكْر الأخبار، كما في كتاب (أخبار القضاة) لوكيع ت ٣٠٦هـ الذي ضمَّ تراجم واسعة لعددٍ من القضاة، وذَكَرَ في طيَّاته بعض الطرائف الأدبية، والأخبار الغريبة، والنوادر الطريفة[٤].

والقاضي صاحب مكانةٍ رفيعةٍ، ومنزلةٍ عاليةٍ مَرْمُوْقة، ارتبطت مكانته بالقضاء الشرعي، والفصل بين المتنازعين، والحَسْم بين المُتَخَاصِمِيْن مهما تباينت طبقاتهم، واختلفت منازلهم؛ ذلك أنَّه يقوم بمُهمَّة جليلةٍ هي إقامة العدل الذي هو من أعظم مقاصد الدين الدين ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٥].

١- انظر: نثر الدر، للآبي، تعليق: مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٧م: ٣/ ١١٣، ١٠ -٢١٩.

٢- انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ٤/ ٣٠٥.

٣- انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، تحقيق: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م: ٤/ ١١.

٤- الكتاب من نشر عالم الكتب- بيروت، د.ت.

٥- سورة الحديد: ٢٥.

غير أنَّ القضاء مَسلَكٌ وعرٌ، ومسؤولية عظيمة، وقد وردت روايات تَشِي بالحذر من التهاون في ركوب هذا المنصب لمن ليس له بأهل، كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "مَنْ جُعِلَ قاضياً بين النَّاس فقد ذُبِحَ بغير سكين"[1] .وأفْرَدَ القرافي ت ٦٨٤هـ في كتاب (الذخيرة) باباً في التحذير من ولاية القضاء على عظيم شرفه[2].

ومجالس القضاة لها رهبةٌ في نفوس الحضور، وصيانةٌ عن عامة الكلام فضلاً عن هزله، وهذا الرهبة ساريةٌ إلى القاضي، فشخصيته لا بد أن تَتَّسِمَ بالوقار، والسَّمْت، وقلَّة الحركة، وهذه السمات منصوصٌ عليها في كُتُب آداب القضاء والقضاة من مثل قول القاضي برهان الدين المالكي ت ٧٩٩هـ : "ليجتهد في أن يكون جميل الهيئة، ظاهر الأبهة، وقُوْراً في مِشْيَتِه وجِلْسَتِه، حَسَنَ النُّطق والصمت، مُحْتَرِزاً في كلامه من الفضول وما لا حاجة له به، كأنما يَعُدُّ حروفه على نفسه عدًّا... وليقلِّل عند كلامه من الإشارة بيده، والالتفات بوجهه..."[3].

وحين يخرج المجلس، والقاضي عن هذه السمة يحصل الانزياح، وتبدو المخالفة التي ينتظرها أرباب الأدب، ويتلقفها مُدوِّنُوه، وهذا ما جعل هذه الشَّوارد تُروى في كتب الأدب، والتاريخ، وفيها خروجٌ عن المألوف في مجالس القضاء، ما بين نُكْتةٍ ساخرة، وردٍّ مُفحم، وضعفٍ من القاضي، وذكاء من الخصم، وربما غَلَبت العاطفةُ العقلَ في بعض الأحكام القضائية ، فيتلقَّف الرواة تلك الانزياحات، ويسجِّلها أرباب المدونات الأدبية، أو التاريخية،

١-معالم السنن، للخطابي، تحقيق : محمد الطباخ، المطبعة العلمية -حلب، ط:١، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م: ٤/ ١٥١.

٢-الذخيرة، للقرافي، دار الغرب الإسلامي-بيروت ١٩٩٤م :١٠/ ٦.

٣-تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مراجعة: طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، ط:١، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م: ١/ ٣١.

ويكتسي شطرٌ منها بلغةٍ أدبية، أو استشهاد شعري، أو تكثيفٍ لغوي يلفت الانتباه، ويخترق المعتاد، وحينئذٍ يتداخل القضائي مع الأدبي، وربما تبدَّد المجلس القضائي، واستحال إلى مجلسٍ أدبي.

كما أنَّ الصورة الذهنية للقاضي في نفوس أفراد المجتمع قد تكون سبباً في تركيب بعض النوادر، أو تمليحها، وكما قيل : "نِصفُ النَّاس أعداءٌ للقاضي هذا إنْ عَدَل"[1]. وهذا الأمر سيَمْزِجُ الجدَّ المتمثل في القضاء بسمته المعهود، بالهزل الذي يدونه أرباب الأدب؛ رغبةً في التسلية " فإنَّ للجد كدّاً يمنع من معاودته، ولابد لمن التمس نفعه من مراجعته"[2] . فإنَّ النفوس–كما يقول الجاحظ ت ٢٥٥هـ –" تحتاج إلى الضحك وهو شيء في أصل الطباع، وفي أساس التركيب؛ لأنَّ الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه"[3] .

ومدونات الأدب القديمة زاوجت بين الجدِّ والهزل، فالكتابات الجادة، تُجَاوِرُهَا نوادر مُسلِّيَة، مثيرة للضحك، فالفصول والأبواب التي تناولت موضوع القضاء والتَّقاضي ربما بدأت ببعض الآيات، والأحاديث، ومروياتٍ عن الصحابة، والسلف، وبعض القصص الجادة، ثم يحصل انزياحٌ سريع إلى بعض النوادر والغرائب. يقول أحد الباحثين: "فإذا وردت معلومات نظرية علمية، ومواد جدية في نصٍ ما، فسرعان ما تعقبها المواد الخفيفة مثل

١–السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي، محمد عبد الكريم البكر، الزهراء للإعلام العربي، ط:١، ١٩٨٨م : ٦٦٩.

٢–البخلاء، للجاحظ، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، ١٩٦٣م: ٣٤.

٣–السابق: ٤٤.

بعض الفقرات والكلمات الشاذة، ليتم بذلك التوازن. فهذا التوازن كان يتجاوب مع الذوق الأدبي والحاسة الجمالية"[1].

والسُّخرية في الأدب إمَّا أن تُمَثِّلَ رأياً فَرْدِيّاً، أو رأياً جَمْعِيّاً، والأخير يكون بمنزلة النقد الاجتماعي الرامي إلى إصلاح ظاهرة ما، أو تفريغ شحنات من الحنق على الممارسات التي يقوم بها عددٌ من أرباب المهن، والمناصب، وربما وجد السَّاخِرونَ والمتهكِّمُون تعويضاً في أسلوبهم عن فقد مكانتهم الاجتماعية، وربما وجد بعضهم في السخرية طريقة للتحذير والتنبيه والتعريض غير المباشر.

وفي مجالس القضاة سنجد نصوصاً متنوعة، ومتفاوتة، بعضها صَدَرَ من القاضي، وبعضها من الخصوم، وبعضها من الكتَّاب، أو من الحضور، وربما جاءت بعض النصوص من مقاولاتٍ خارج إطار المجلس القضائي، فتأتي في قالب نادرةٍ مُضْحِكَة، أو جوابٍ مفحم، أو محاورة ومناظرة، وربما أوردَ بعضهم أبياتاً شعرية، أو رسالة إلى القاضي، أو حكمةً سائرة، وهذا التنوع الأجناسي ملحوظٌ في هذا اللون الأدبي.

واتجهتُ في بحثي إلى المجالس القضائية ذات الطابع القضائي، وألحقتُ بتلك المجالسِ المجالسَ المُحَاذِية التي اعتمدت على مقاولات بين القاضي والخصوم، أو بين القاضي والشهود، أو بين الوالي والقاضي، وربما دارت في إطارٍ خارج إطار المجلس الرسمي للقضاء، وربما دَنَت إلى المقاولة والمحاورة.

غير أنَّ خصيصة الإضحاك والهزلية تبقى ركيزةً أساساً في مدونة البحث، وهي "مقومٌ أساس في النادرة"[1] بوصفها جنساً أدبيّاً مستقلاً[2]، وحاضراً في مجالس القضاة،

١-الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء: العاهات والمساوئ الإنسانية ومكانتها في الأدب الراقي، يوسف سدان، منشورات الجمل، ط:١، ٢٠٠٧م : ٣٩.

وسَتَجدُ في نوادر القضاة أدباً هزلياً يمتاز بتنوع طرائق التواصل، وأساليب الحَمْل على الإضحاك، ومفاجأة المتلقي، وخَرْق أُفق توقعه وانتظاره[٢]، فتلك المجالس التي اكتست بالوقار والهيبة، وذاك القاضي الذي تدثَّر بالمهابة والاحترام ستجدُ أن أيَّ خرقٍ لحُجُب تلك المهابة سَيُدوَّنُ من الرُّواة، وسيحظى بقدر كبيرٍ من التلقي في مدونات الأدباء؛ رغبةً منهم في البحث عن النصوص الماتعة، والتي تكون مُتعتها–أحياناً– من انزياحها الهزلي.

واستقى الباحث عيِّنَة الدراسة من كتب الأدب، والتأريخ، والتراجم القديمة، من مثل: كتاب (أخبار القضاة) لوكيع ت ٣٠٦هـ، و(نثر الدُّر) للآبي ت٤٢١هـ، و(محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء) للراغب الأصبهاني ت ٥٠٢هـ و (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) للزمخشري ت ٥٣٨هـ، وغيرها.

ولعلي أبدأ بإبْرَاز أهم **الأفكار والموضوعات** التي هَيمَنَت على أدب مجالس القضاة والتقاضي، وأشفعُ كل فكرةٍ ببعض النماذج وفَاق ما يتَّسعُ له مقام البحث؛ رغبةً في تقديم عددٍ من النصوص إلى المتلقي في حيزٍ واحدٍ، وإبراز تنوع الأفكار والرؤى ، ثمَّ أدلفُ بعد ذلك إلى حديثٍ مركَّزٍ أتناول فيه الخصائص الفنية لمدونة البحث.

وتبدو ثنائية الحثِّ على القضاء، والتخويف منه بازغةً في النصوص التي بين يدي؛ ذلك أنَّ مهمة القاضي مهمةٌ عسيرةٌ، وتحفُّ بها تبعات عظيمة في الدنيا والآخرة، وجاءت

١–بلاغة النادرة في الأدب العربي، د.سليمان الطالي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع–عمان، ط:١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م: ١١٠.

٢–هناك من يرى أنَّ النادرة جنسٌ أدبي قائم بذاته، وله سماته، وخصائصه المستقلة، ومن أبرز هؤلاء: الدكتور محمد مشبال، وتلميذه الدكتور سليمان الطالي. انظر: (بلاغة النادرة، د.محمد مشبال، أفريقيا الشرق–الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، وبلاغة النادرة في الأدب العربي، د.سليمان الطالي).

٣– انظر:السابق:١١٠.

جملةٌ من الأحاديث النبوية في التحذير من التهاون في القضاء، والاستهانة بمصالح المسلمين، وفي مقابل ذلك لابد أن يتولى المنصب من يقوم بمهامه، ويفصل بين الناس في حقوقهم، فاطَّرَدَت نصوصٌ هنا، وهناك في هذا المعنى من مثل قول عليان بن أبي مالك حين مرَّ بقاضٍ: "من أراد سرور الدنيا وخِزي الآخرة فليتمنَّ ما هذا فيه"[1] وبعد هذا النص مباشرة يأتي نصٌ لمسروقٍ يقول فيه بعد مداولة لإقناعه بالعمل القضائي: "لأن أحكم يوماً بحق أحبُّ إليَّ من أن أغزو سنةً في سبيل الله"[2].

وبين الحثِّ المحض، والتخويف المحض تحضر نصوصٌ تستدعي أهلية القاضي، وقدرته على مغالبة جملة من الأمور، فالخيرية للقاضي مشروطةٌ بجملة خصائص، كما في قول الحسن البصري ت ١١٠هـ: "إني لأرجو لقضاة المسلمين خيراً، مالم يُمَالِئوا، أو يَرْتَشوا، إذا أدُّوا الحق"[3].

ولعلَّ منزلة القضاء، وما ينجم عنه، تستدعي حثاً على الاجتهاد في العدل، والبعد عن الهوى، والاستقصاء في النظر، وهذه مهمةٌ جليلةٌ لا بد أن ينبري لها أناسٌ لهم سماتٌ خاصة، وهذه السمات مثَّلت فكرةً من الأفكار التي حَمَلَتْهَا بعض النصوص في كتب الأدب، فالزُّهري يحترز للقضاة من ثلاث سمات، فيقول: "ثلاثٌ إذا كُنَّ في القاضي فليس بقاضٍ: إذا كرِهَ اللوائم، وأحبَّ المحَامِدَ، وكَرِه العَزْل"[4]. ومجمل هذه السمات تدخل ضمن إطار مراقبة الله، والنأي عن حظوظ النفس، واتخاذ القضاء وجاهة، ورفعة على عموم الناس، ولذا فإنَّ موضوع الهروب من القضاء؛ خشية تبعاته، والخوف من عواقبه

١- ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٠.

٢-السابق ٤/ ٣٠٩.

٣-السابق.

٤- نثر الدُّر: ٣/ ٢١٩.

الدنيوية والأخروية يمثل أيقونةً ناصعة في أدب القضاة، وهو دأب المتورعين، والزهاد، الذين ابتدعوا الحيل الدقيقة فراراً من هذه المهمة الصعبة، وقد عَقَدَ السيوطي ت ٩١١هـ في رسالته الموسومة بـ (ذم القضاء وتقلُّد الأحكام) باباً خصَّصه للحديث عن فرار السلف الصالح من القضاء[١]، وفيه –وفي مدونات الأدب– فكرةٌ متواترةٌ، توالت فيها الأقاويل، والقصص، والنَّوادر حول الهروب من القضاء حتى جعلوا القاضي –في صورةٍ من صور التحذير والحثِّ على الهروب– "كالغريق في البحر الأخضر إلى متى يسبح، وإن كان سابحاً"[٢].

ومما أورده أرباب الأدب في فكرة التمنُّع من القضاء ما حصل بين المنصور ت١٥٨هـ وأبي حنيفة ت ١٥٠هـ حين أمر المنصور أبا حنيفة بتولي القضاء، فقال: لا أصلح لذلك، فقال المنصور : إنَّك تصلح ،فقال أبو حنيفة: إن كنتُ صادقاً، فلا يجوز لك أن توليني، وإن كنت كاذباً، فقد فسقتُ، فقال: والله لتلينَّ، فقال: والله، لا وليت، فقال حاجبه: أمير المؤمنين يَحلِفُ وأنت تحلِف، فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين أقْدَرُ على الكفارة مني[٣].

إنَّ هذه المقاولة تنطلق من سلطة عليا (الخليفة) وتأتي في صيغة الأمر، غير أنَّ المجازفة تكون في عدم إجابة الخليفة، والنزول إلى رغبته ، بل ومواصلة المحاجَّة في هذا الرفض، وإقفال الطريق أمام كل الاحتمالات المتوقعة، من دون استصحاب سلطات الخليفة، ونفوذه، بل تلبَّس بالكذب فراراً من إجابة الخليفة، وتستمر الحادثة في مسارها الصامد في التَّمنُّع من القضاء من طرف أبي حنيفة، حين يتدخل الحاجب، وهذا التدخل

١–مارواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين ذم القضاء وتقلد الأحكام، وذم المكس، تحقيق: مجد السيد، دار الصحابة للتراث–طنطا،ط:١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م: ٨٩.

٢–ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٢.

٣–انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، دار الآثار–بيروت، د.ت: ٨٤.

يشي بإشارات عديدة، منها الحثُّ على إجابة الطلب، والخشية على أبي حنيفة من عاقبة ردِّه، غير أنَّ قوة الحجة تستمر، في مؤشر على الخوف والخشية من عاقبة القضاء، والتورّع عنه.

ويستثمر بعضهم الصورة لرسم خطورة القضاء، والتحذير من عاقبته، وعندما يعمد إلى الصورة فإنَّ المُتحدِّث يريد أن يبحث عن الإفضاء ببعض المعاني الدقيقة، وإيصالها إلى المتلقي في قالبٍ جاذبٍ، ومؤثرٍ، ودقيق وهذا ما سنجده في قول أحدهم: "القُضاة جسورٌ للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة"[1].

فالنصُّ يحيل إلى يوم القيامة، وهو يومٌ يُثِيرُ ذِكرُهُ الذعر والخوف في نفوس المؤمنين، ويَستَرْعي انتباههم ؛ لأنه يُمثل المآل والمصير، ثم تأتي صورة القضاة في ذاك اليوم العصيب، حينما يستحيل القاضي إلى جسرٍ يمرُّ عليه الناس في إشارة دالةٍ على حجم الأمانة والمسؤولية في القضاء، وارتباطه بمصالح الناس، ومعاشاتهم، وما يُداخِله من ظلمٍ في الحكم، وربما تفريط وتهاون من القضاة، وهذه الصورة التي جاءت في قالبٍ مكتنز، ومكثف تستثير المتلقي، وتُعمِّق البرهنة على صعوبة المهمة.

وتعامل القاضي مع المرأة هيَّأ لصناعة بعض المرويات التي تصوِّر ميل القاضي إلى العاطفة، وانزياحه إلى رغباته الذاتية، وضعفه أمام جمال النساء، وتشي–من جانبٍ آخر– بصورةٍ من صور المجتمع الحانق على القاضي، ومن أطرف ما رُوي في كتب الأدب، ما رواه الأصبهاني[2] ت ٥٠٢هـ من أنَّ امرأةً جميلة خاصمت زوجها عند الشعبي ت ١٠٣هـ، فقَضَى لها عليه، فقال:

فُتنَ الشعبيُ لما رَفَعَ الطَّرْفَ إليها

١–ربيع الأبرار: ٤/ ٣٣١.

٢–انظر: محاضرات الأدباء: ٨٧.

فتَنَتـــــهُ بِبَنـــــانٍ وبِخَطِّـــيْ حَاجِبَيْهَـــا
فقَضى جَوْراً على الخصْمِ ولـــم يَقْـــضِ عَلَيْهَـــا
كيـفَ لـو أبـصَرَ مِنهَـا نَحْرَهَـــا أو سَـــاعِدَيْهَا
لـــصَبَا حتـــى تَـــرَاه سَـــاجِداً بـــين يَـــديْهَا

إنَّها صورةٌ مجحفةٌ للشعبي، صورةٌ تكشف عن جور الشاعرية -أحياناً- في تشويه صورة أحد أعلام العلم والقضاء، وقد سلَّط الشاعر سياطاً من الذم النَّابِع من فتنة القاضي بأحد الخصوم، فتنةٌ قادها استراق النَّظر إلى بعض أطراف المرأة، ثمَّ تجاوز هذا النظر إلى افتراضات لرؤية أجزاء أُخرى من جسدها، إنها صورةٌ متكررة لنوادر القضاة حين تكون المرأة طرفاً في مجلس القضاء، وتمثل نَفَساً انتقامياً من خصوم القضاء.

ولَمزُ القُضاة من بوابة النساء متواترٌ في أدب القضاة، فجمال المرأة، وخضوعها بالقول، وحاجتها إلى حكم القاضي تُذِيْبُ عدل القضاة، وتَميْدُ بأحكامهم، وربما اصطنعها الشعراء فجنوا على القضاة، وركَّبُوا عليهم ما يتوقعونه من طبيعة الرجل المائلة إلى المرأة، ومن ألذع الهجاء الذي جاء من هذه البوابة هجاء هذيل الأشجعي قاضي الكوفة عبد الملك بن عمر حين قال[1]:

إذا ذاتُ دلٍّ كلَّمَتهُ بحاجةٍ فهمَّ بأن يقْضِي تَنَحنَحَ أو سَعَلْ

فكان عبدالملك بن مروان يقول: "قَاتَلَهُ الله، والله لربَّما جاءتني النَّحْنَحةُ، وأنا في المتوضَّأ فأذْكُرُ ماقَال فأردُّهَا"[2].

١-انظر: نهاية الأرب: ٤/ ١٤.

السابق. ٢-

وصورة القاضي الأحمق تتوارد في المرويات الأدبية، ذلك أنَّ سِمَةَ الذَّكَاء، والفِطْنة هي الأصل في القاضي، والغباء، والحمق تمثِّل انزياحاً في شخصيته، ومن هنا تتشكَّل في مدونات الأدب صورةٌ للقضاة الحمقى، أو الأغبياء ، ومصدر هذا الحمق متباين، متفاوت، فربما كان الأسلوب سبباً في الكشف عن حمق القاضي، من مثل سؤال أحد القضاة لامرأة تقدَّمت عنده "جامَعَكَ الشهود؟! فسَكَتَت. فقال كاتبه: إنَّ القاضي يقول: جاء شهودك معك؟ قالت: نعم، ثم قالت: ألا قلتَ كما قالَ كاتِبُكَ؟ كَبُرَت سِنُّكَ، ونَقَصَ عقلُكَ، وعَظُمَت لحيتك حتى غطَّت على لُبِّك، ما رأيت ميتاً يقضي في الأحياء غيرك!"[1].

ومن الحمق ما يكون من سوء فَهْم القاضي، وسذاجته من مثل ما رواه أبو سعيد الآبي ت ٤٢١هـ من تقدُّم رجلين ومعهما امرأة إلى أحد القضاة، فقال أحدهما: "أصلحكَ الله، هذه امرأتي تزوَّجتها على ستين درهماً، وهذا يدعي أنَّه يتزوجها على سبعين، فقال القاضي: عليَّ بثمانين. فقالا: أصلحكَ الله جئناك لتَقْضيَ بيننا، لم نجئكَ لتزايدنا..."[2].

وفي مُقابِل هذا الحمق تصلنا نوادر لحِذْق القضاة، وشدة حدسهم، فاستحالت بعض أسماء القضاة إلى علامةٍ للذكاء الحادِّ، والقدرة على استنطاق الخصوم بدهاءٍ، رغبةً في الوصول إلى الحق، فغابت القصص، والنوادر وبقي الاسم علامةً دالة على الذكاء الحادِّ، والفراسة، والانبهار من المتلقي بقدرات القاضي الذهنية، ومن هذا الصنف: القاضي إياس بن معاوية بن قرة ت ١٢٢هـ الذي ذَاعَ صيته ، وأصبح علامةً للفراسة والحذق والذكاء، وكان يقول عن نفسه : "الخِبُّ لا يخدعني، ولا يخدع ابن سيرين"[3]. وهو الذي ذكره أبو تمام ت ٢٣١هـ في بيته الشهير:

١–ربيع الأبرار: ٤/٣١٦.

٢–نثر الدر: ٣/١١٣.

٣ - السابق:٣/٢٣٢.

إقدَامُ عمرو في سماحة حاتم في حِلم أحنَف في ذكاء إياس

وقد أورَدَت كتب الأدب مرويات كثيرة دالة على فطنته، ودقة ملاحظته، ومن ذلك[1] أنَّ رجلين اختصما عنده، فادَّعى أحدُهما أنه أوْدَعَ عند صاحبه مالاً، فلما طلبه منه جحده، فسأل إياس الرجلَ المدَّعَى عليه عن أمر الوديعة فأنكرها، وقال: إن كانت لصاحبي بيِّنة فليأتِ بها، وإلا فليس له عليَّ إلا اليمين، فلما خاف إياسٌ أن يأكل الرجلُ المالَ بيمينه التفت إلى المودِع، وقال له: في أيِّ مكان أودعته المالَ؟ قال: في مكان كذا، قال: وماذا يوجد في ذلك المكان؟ قال: شجرةٌ كبيرةٌ جلسنا تحتها، وتناولنا الطعام معًا في ظلِّها، ولما هَمَمْنَا بالانصراف دَفَعْتُ إليه المالَ، فقال له إياسٌ: انطلِق إلى المكان الذي فيه الشجرة، فلعلَّك إذا أتيتها ذكَّرتك أين وضعت مالك؟ ونبَّهتْك إلى ما فعلته به؟ فجعل المدَّعي يذهب إلى الشجرة، وأوهمَ المتَّهم أنه بريء، قال: ثم عُد إليَّ لتخبرني بما رأيت، فانطلق الرجل إلى المكان، وقال إياس للمدَّعى عليه: اجلس إلى أن يجيء صاحبُك، فجلس، ثم التفت إياس إلى من عنده من المتقاضيين، وطفق يقضي بينهم، وهو يرقب الرجل بطرفٍ خفيٍّ، حتى إذا رآه قد سَكَنَ ارتاحت نفسُه وكأنه صار بريئاً واطمأن، التفت إليه وسأله على عجل: أتقدِّر أن صاحبك قد بَلَغَ الموضع الذي أعطاك فيه المال؟ قال له: لا . فقال له إياس: يا عدوَّ الله تجحد المالَ، وتعرف المكان الذي أخذته فيه، واللهِ إنك لخائن، فبُهِت الرجل، وأقرَّ بخيانته، فحبسه حتى جاء صاحبُه، وأمره بردِّ وديعته إليه .

ويقابل ذلك قضاةٌ استحالت أسماؤهم علاماتٍ دالةً على الغباء والحمق، وتحريف الأحكام، يقول الزمخشري ت ٥٣٨هـ : "القضاة المضروب بهم المثل في الجهل،

١–انظر القصة في المصدر السابق: ٢٣١/٣.

وتحريف الكلام منهم: قاضي مِنى، وقاضي جَبُّل.... وقاضي إيذج"[1].وحمقهم -كما أسلفت- استثار الأدباء لهجائهم، ووصْف حمقِهم، ورسم صور (كاريكاتورية) ساخرة عنهم، كقول أبي الحسن الجوهري في قاضي شَلَمْبَة[2]:

رأيتُ رأسـاً كَدَبَّة ولحيـةً كالمِذَبَّة

فقلت: ذا التيس من هو؟ فقيل: قاضي شَلَمْبَة

ومن الموضوعات التي تناولتها مدونات الأدب: التكلُّف في الأحكام، والتمحُّل في تفسير بعض الحيثيات القضائية إلى حدٍّ يثير الاشمئزاز، وينبئ عن قاضٍ غير سويٍّ هو إلى الوسوسة أدنى، وإلى التقعر أقرب، كما حصل من قاضي البصرة[3] حين رُفِعَت إليه وصيةٌ لرجل، وفيها اتخاذ شيء من المال للحصون، فقال القاضي: اشتروا بها خيلاً للسبيل. أما سمعتم قول الجعفي:

ولقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَجَشُّمِيَ الرَّدَى أنَّ الحُصُونَ الخَيْلُ لا مَدَرُ القُرَى

وتكشفُ بعض النماذج عن حياة المجتمع، وطبقاته، وبعض يومياته، وصورةً من خصوماته، ومن ذلك أن رجلين اختصما في ديكٍ ذبحه أحدهما، فقال القاضي: "ارتفعوا إلى الأمير، فإنَّا لانحكُمُ في الدِّماء"[4] . ومع طرافة الرواية إلا أنَّها تكشف عن طبقة فقيرة، جعلت من ذبح الديك قضيةً تستحق الاحتكام إلى القضاء، ولو لم يكن الديك من

١-ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٠.

٢-انظر :معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق:فريد الجندي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م: ٣/ ٤٠٨. وشلنبة:بلدة في نواحي جرجان وطبرستان، ذات زروع وبساتين، شديدة البرودة.

٣-انظر القصة في :ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٨.

٤-نثر الدر: ٣/ ١١٩.

مُقَدَّرَاتِهم المهمة لما اختصموا فيه، وهي من وجهٍ آخر تمثل طاقة الصبر عند القاضي، ومقدار تحمله، فهو يتعامل مع أصناف متعددة، وينظر في قضايا متنوعة، فهو مقصودٌ من الطبقات العليا، والدنيا، ويُعرض عليه الجسيم، والتافه، وهذه النافذة تفصح عن صورة المجلس القضائي، الذي يحكي أنماط المجتمع،وما يدور فيه.

وفي فلك الأدب القضائي يأتي حديث عن الشهادات، وقبولها، وردّها، وهي مادة شكلت حضوراً لافتاً في عينة الدراسة، ومن أطرف ما روي في هذا الباب ارتباط الشهادة بمعرفة الشعر، والدراية في روايته، فعندما شهد رجلٌ من بني نهشل عند عبيد الله بن الحسن بادره بهذا السؤال: أتروي قول الأسود بن يعفر: نام الخلِيُّ فما أحسُّ رُقادي... فقال له الرجل: لا. فقال عبيد الله: تُرَدُّ شهادتُه. وقال: لو كان في هذا خيرٌ لرَوى شَرف أهلِه[1].

وبعض النصوص تحمل قالباً من النصح والحكمة في التعامل مع الشهود، والتعريف بهم، وتعظيم مهمتهم، ومآل شهاداتهم، ومن ذلك قول ابن عباس–رضي الله عنهما– "أكرِمُوا الشُّهُود، فإنَّ الله يَستَخرِجُ بهم الحُقُوق، ويَدْفَعُ بهم الظلم"[2].

وتحمل أقاويل القضاة في رد الشهود أجوبةً مفحمةً –أحياناً– وحضوراً ذهنياً يَشِي بسمةٍ مهمةٍ للقاضي، وهي: الفطنة، وحضور الجواب، ومثل هذه الأجوبة تُقْفِلُ الحوار، وتُنهِي المُقَاوَلة، فعندما ردَّ القاضي إياس بن معاوية شهادة أحد الرجال، اشتكاه على الحسن، فبادر الحسن إلى إياس، فقال: يا أبا واثلة، لِمَ رَددت شهادة فلان؟ فقال إياس: يا أبا سعيد، إنَّ الله يقول: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ البقرة: ٢٨٢ . وليس فلانٌ ممَّن أرضى[3].

١–انظر: السابق:٣/٢٢٤.

٢–ربيع الأبرار: ٤/٣٣٣.

٣–نثر الدر:٣/٢٢٤.

ووصايا الخصومة تأتي في قالب ساخرٍ، وطريف، وفي إطارٍ سلبيٍّ يعتمد على الإنكار، والادعاء الباطل، والمماطلة في اليمين، كما في قول رجلٍ لآخر: "علِّمْنِي الخصومة. قال: أنكِرْ ما عَلَيك، وادَّعِ ما ليس لك، واستشهِد الموتى، وأخِّر اليمين حتى تنظر فيها"[1].

ويرتبط بمجالس القضاء حديثٌ عن الأيمان والأقسام، فهي حاضرةٌ في مجالس القضاة، وهي أداة للإثبات، أو الإنكار، وتنميقها الأسلوبي، والتفنُّن في سجعها، أو حسن تقسيمها ملاذٌ لتلبيس بعضهم، وبرهنة مرادهم، وقد روت كتب الأدب نصوصاً من هذه الأيمان، كقول أعرابي: "لا، والذي شقَّ خمساً من واحدة. يعني: الأصابع من الراحة"[2]. وقول البحتري[3]:

أقْسَمتُ بالشَّهر الحرام وحُرْمَة الشَّهر الأصَم

وقول أحدهم في أيمان مغلظة قالها شعراً في مجلسٍ قضائي[4]:

حلفتُ بربِّ زَمزمَ والمُصلَّى وربِّ الحجر والحجر اليماني

وبالسَّبع الطِّوال ومَن تَوَلَّى تلاوتهنَّ والسبع المثاني

لقد حاولت في حديثي السابق أن يقف القارئ على أبرز الأفكار المُتناولة في مجالس القضاة، وما ألحقته بها من حديثٍ عن الشهادات، والأيمان المرتبطة بالمجالس القضائية، وعزَّزت الأفكار بالنماذج رغبة في إضاءة الطريق حول هذا الموضوع، والتعريف بكمٍّ

١-ربيع الأبرار: ٤/ ٣٢٢.

٢-السابق: ٤/ ٣٣٤.

٣-انظر: السابق.

٤-انظر: السابق: ٤/ ٣٣٣-٣٣٤.

النماذج المتواترة في كتب الأدب، والوقوف على تنوعها، وارتباطاتها بموضوعات محاذيةٍ لها، وهذه الإضاءة الموضوعية ستقودني إلى التناول الأهم، وهو الحديث عن أبرز الخصائص الفنية لهذه النوادر، ولعلَّ أبرزها يكمن في الآتي:

١- **حجاجية أدب القضاة**: ترتبط المجالس القضائية بتداول الآراء، والسعي الدائب لإثبات الادعاء، أو نفيه، واستعراض البراهين والحجج، واستهداف الإقناع من كل طرف مما جعل هذه المجالس تضمُّ أدباً حجاجياً بامتياز، أعني: أنها صالحة للمعالجة الحجاجية، والحجاج معدودٌ "من الممارسات العملية التي قد تؤدي إلى حلِّ الاختلافات"[١] والمجلس القضائي مجلسٌ قامَ لحلِّ الخلافات، وإيقاع العقوبات، وضبط النظام، والحجاج ملازمٌ للفضاء الخلافيِّ منذ أرسطو إلى العصر الحديث[٢]، وهذا الصنف من النصوص-كما يقول أحد الباحثين-" يختلف عمَّا سواه من جهة هدفه الذي يمكن اعتباره دون ريبٍ برهانياً فإذا كان قصده مُعلَناً، واستدلاله واضحاً، وأفكاره مرتبطة؛ فلأنه يحرص كلَّ الحرص على الإقناع: إقناع المتلقي بوجهة نظره، أو طريقته في تناول الأشياء، بل قد يحاول حمله على الإذعان"[٣].

وفي أدب المجالس القضائية سنلحظ استحواذ الحوار- أو مايسميه الحجاجيون بـ "التحاورية"- على النصوص المعتمدة على المقاولات، والمحاورات بين القاضي

١-الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، د.عبد الهادي الشهري، الانتشار العربي-بيروت،ط:١، ٢٠١٣م:٣٩.

٢-الحجاج عند أرسطو مضمن في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، هشام الريفي، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس: ١٢٣.

٣-الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث-إربد، ط:٢، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م:٢٥.

والخصم، من جهة، وبين الخصوم مع بعضهم من جهةٍ أُخرى، وربما دخل في هذا الحوار أطرافٌ أخرى كالشهود، وكتّاب القاضي، وأصحاب السلطة.

ومن أبرز منطلقات الحجاج– التي تمثل نقطة انطلاق الاستدلال[1]– في هذا اللون الأدبي : الوقائع وتمثّل ما هو مشتركٌ بين عدّة أشخاص، أو بين الناس جميعاً، ولا تكون عرضةً للدحض أو الشك[2]، وأغلب الحقائق التي يرجّح فيها القاضي طرفاً على طرف آخر تكون بالحقائق المُعاينة، وهو ما يصطلح عليه القضاة بـ(البيّنة)وفاق القاعدة الشهيرة "البينة على المدعي، واليمين على مَن أنكر"[3].

ولذا فإنَّ النصوص التي بين يدي تبحث عن الحقائق المعلومة، القاطعة، التي تحسم النزاع، وتغلق مَسَارِبَ الشكِّ، وتحتاج من القاضي إلى فطنةٍ، وذكاء، ومن ذلك أنَّ امرأتين تحاكمتا إلى القاضي إياس في كبَّة الغزل–وهو ما جمع من الصوف، ولفَّ على شيء–فقال لإحداهما في السرّ: على أيّ شيءٍ كببتِ غزلكِ، قالت : على كسرة، ثم سأل الأخرى ، فقالت: على خرقة، فنُفِضَت الكبَّة، فإذا هي على كسرة، فسمع بذلك ابن سيرين، فقال: ويح له ما أفهمه! ويح له ما أفهمه![4].

فالحجَّة القاطعة قامت على الوقائع المشاهدة، التي يُذعِن لها المتلقي، ويسلِّم بنتيجتها، وذكاء القاضي جعله يصل إلى هذا اللون من الاستدلال؛ إذ خَرَجَ عن قضية النزاع

١–في نظرية الحجاج:دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط:١، ٢٠١١م :٢٤.

٢–انظر: السابق.

٣–أصل هذه القاعدة الحديث الذي رواه ابن عباس– رضي الله عنهما– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يُعطى الناس بدعواهم، لادّعى رجالٌ أموال قوم ودماءهم، لكن البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر. الحديث في صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الأقضية، رقم ١٧١١.

٤–انظر القصة: ربيع الأبرار:٤/٣٣٦–٣٣٧.

(كبَّة الغزل) إلى ما بعدها، وعَمَد إلى الاستفسار السرّي؛ ليقطع الطريق أمام المراوغة، وحين اختلفت الإجابات استخدم الواقعة، وهي (وضع الغزل على الكسرة) فحسم النزاع، وانتهت المحاكمة بقطْعيةٍ وحَسْم.

ومن المنطلقات الحجاجية المتوالية في أدب المجالس القضائية: (القِيَم) و"عليها مدار الحِجاج بكلِّ ضروبه"[1]. والقيمة الكبرى في هذا اللون الأدبي تكمن في قيمة العدل، وهي قيمة محورية مهيمنة على النماذج المقصودة في الدراسة، وهي غاية الوالي في تحقيق شرع الله، وإقامة العدل، وهي أسُّ استقرار الدول، واستمرارها، وهي غاية القاضي حين يحتكم إليه الخصوم، فهو يبحث عن العدل في الحكم بينهم، واتِّقاء الظلم، وهي غاية صاحب الحقِّ، وهو أحد أطراف القضية، فهو ينشد العدل في اقتصاص حقِّه، ورفع الظلم عنه، ولا ريب أنَّ العدل المطلوب في القضاء هو أعلى هرميات العدل، عدلٌ مطلقٌ، لا يسوغ فيه الإنصاف الجزئي، وإنما هو إقامة العدل المستمد من عدل الله، وأمره بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠.

ويُلمَز القضاة بخروجهم عن هذه القيمة، ويستثمرها أفراد المجتمع؛ لإقناع الجمهور باختلال قيمة العدل، واختلال ميزان القضاء، وهي رسالةٌ إشهارية يراد من تداولها وصول صوت الجمهور إلى صاحب القرار، والولاية، وإقصاء هذا النمط عن منصب حسَّاس ترتبط به مصالح الناس، والمجتمع. تأمَّل قول أعرابي يصف قاضياً، فيقول: "يَقْضِي بالعشوة، ويُطيْلُ النَّشْوة، ويَقبَل الرِّشْوة"[2]. فمضمون الرسالة الكبرى من هذا

١–في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات:٢٦.

٢– ربيع الأبرار:٤/ ٣٢٧.

النص هو فقدان قيمة العدل عند هذا القاضي، وفي المقابل نجد نمطاً آخر من القضاة يُقنِعُ المتلقي بتحقيق العدل في كل شيء حتى في جِلْستَه، وتوزيع الحديث بين الخصوم، ومن ذلك ما روي أنَّ عبيد بن ثابت كتب إلى علي بن ظبيان قاضي بغداد : "بَلَغَني أنَّكَ تجلِسُ للحكم على باري–وهو الحصير–وكان مَن قبلَكَ من القضاة يجلسون على وطاء يتَّكِئون. فكَتَبَ إليه: واللّه إنّي لأستحي أن يجلِسَ إليَّ حُرَّان مسلِمَان على باري، وأنا على وطاء، ولست أجلِسُ إلا على ما يَجلِسُ عليه الخصوم" إنَّها حجةٌ قامت على العدل في المجلس القضائي، وفاق تعليلٍ انطلق من هذه القيمة الكبرى التي يتغيَّاها القضاء الإسلامي الشامخ بالعدل والإنصاف.

ومن ألمع أنواع الحجج في مجالس القضاة الحجة القائمة على العلاقة التبادلية، و "تتمثَّل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل الأخرى معالجة واحدة، وهو ما يعني أنَّ تينك الوضعيتين متماثلتان، وإنْ بطريقة غير مباشرة، وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل، وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات ، أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة"[1].

فالمحاور–هنا– يقوم باستلال الحجة من كلام الطرف الآخر بطريقة قياسية، تسهم في الإذعان والتسليم، ومثال ذلك ما رُوي عن ابن شبرمة أن قوماً شهدوا عنده على قراح فيه نخل، "فسألهم عن عدد النخل، فلم يَعرفوا، فردَّهم، فقال: رجلٌ منهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فكم فيه من اسطوانة، فأجازهم"[2].

١– في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: ٤٥.

٢–ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٥.

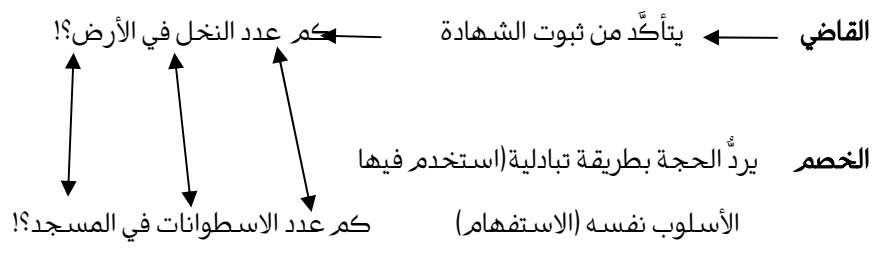

ومن النماذج الحجاجية الناصعة في هذا اللون الأدبي، مادار بين القاضي إياس، وأحد الخصوم، حين استلَّ القاضي إياس الحجة من أسئلة الرجل، وقلَبَها عليه بطريقة ذكية، فلم يكن منه إلا الإذعان، والتسليم، وإليك المثال[1]:

أسئلة الرجل (١)	أجوبة القاضي إياس (٢)
–هل ترى عليَّ من بأس إن أكلتُ تمراً؟ –هل ترى عليَّ من بأسٍ إن أكلت كَيْسُوماً ؟ –قال: فإن شربتُ معه ماء؟ –قال: فَلِمَ تُحرِّم السُّكر، وإنما هو ماذكرت	–قال: لا. –قال:لا. –قال:جائز. قال له إياس:
أسئلة القاضي إياس (٣)	**أجوبة الرجل (٤)**
–لو صَببتُ عليك ماءً هل كان يضرك ؟ –فلو نثرتُ عليك تراباً هل كان يضُرُّك ؟ –فإن أخذتُ ذلك فخلطته، وعجنته، وجعلتُ منه لبنة عظيمةً فضربت بها رأسك هل كان يضرك ؟	–قال:لا. –قال:لا. –قال :لا.
قال : فهذا مثلُ ذلك .	

١–انظر: نهاية الأرب :٤/ ١٣.

إنَّ هذا النص حجاجيٌ بامتياز، والعلاقة التبادلية تبدو من استخدام القاضي إياس الأسلوب نفسه في إقناع المتلقي، والتنزُّل معه في الحجة، وفق إستراتيجية حجاجية ناجعة في الإقناع المتدرّج، ووفاق الحجج المعتدِّ بها عند الطرف الأول، حتى انتهى الحوار بالمقايسة، والقياس -هنا- قياسٌ برهانيٌ، قائمٌ على المنطق المُتَصَاعِد ، والمختوم بالإذعان، والتسليم.

٢- **الصُّوَرُ السَّاخِرة :** تحتلُّ النادرة الأدبية حيّزاً لا بأس به من المرويات الخاصة بمجالس القضاء والتقاضي، ومن أَلْمَع خصائص النوادر الأدبية المجاز الهزلي، وغَلَبَة الصور الساخرة . يقول أحد الباحثين: "يتولَّد الهزل والإضحاك في كثيرٍ من نصوص النوادر من مجموعة الصور البلاغية الجزئية"[١].

والصور الجزئية الواردة في هذه النصوص تشكِّل صوراً كليةً ساخرة من القاضي، وساخطة من القضاء، وفيها انتصارٌ للذات -أحياناً- وتلمس فيها ملامح من الغضب على الأحكام الصادرة ، وهذا يذكر بقول القاضي شريح : "أصبحتُ ونصف الناس غضابٌ"[٢] . وغضبهم سيدفع إلى تسخير الصور الأدبية لرسم صور (كاريكاتورية) من القاضي، والقضاء من مثل قول إحداهنَّ : "ما رأيتُ مَيتاً يَقْضِي في الأحياء غيرك"[٣] .

وترسم بعض المقطوعات الشعرية صوراً ساخرةً بالقضاة تأتي في لغة بسيطة، تنسجم مع فهم الجمهور العام، وغايتها إشهار السخرية بالقاضي، كقول أبي إسحاق الصابي في قاضي إيذج:

يـاربِّ عِلـجٍ أعلـج مثـــل البعيـــر الأهـــوج

١- بلاغة النادرة في الأدب العربي: ١٢٣.

٢-نثر الدر: ٣/٢٢٦.

٣-ربيع الأبرار: ٤/٣١٦.

رأيتُـــهُ مطلعـــاً مـــن خلـف بـاب مـرتج
وخَلْفَـــه دَنِيـــةٌ تـــذهب طـــوراً وتَجـــي
فقلت: قاضي إيذج فقـــال: قاضـــي إيـــذج

وملحـوظٌ أن الـصور–هنـا– بـسيطةٌ، وتنِـزع إلـى الحـسيَّة والواقعيـة، ذلـك أن دائـرة المقاولة والحوار في المجلس القضائي تمثِّل شـرائح عديـدة من المجتمع، فجاءت الصور من البيئة، والمجتمع القريب، وغلبت عليها الآنية، وقلَّة الإعمال الذهني، فجاءت صورة القاضي في جملة النصوص مرتبطةً بالحمق، والغباء، والميل إلى المرأة، وقبول الرشـوة، ويتشكَّل من هذه المعاني صورٌ ساخرة ، ولا ريب أنَّ هذه الصور فيها جناية على صورة القـضاء الإسـلامي الناصع، وتمثِّـل علامـة مـن علامـات جنايـة الأدب علـى أربـاب الحـرف، والأعـلام، والقبائـل، ولا أدلُّ علـى ذلـك مـن تـشويه صـورة الإمـام الـشعبي ت ١٠٣هـ وهـو التابعي الفقيه الذي قال عنه الإمام مكحول ت١١٢هـ : "ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي"[1] ثم يُنسب إليه الجور في الحكم بسبب الميل إلى المرأة، ويشيع في كتب الأدب قول القائل[2]:

فُـــتِنَ الـــشعبي لمَّـــا رَفَـــعَ الطَّـــرْفَ إليهـــا
فتَنَتـــــه ببَنـــــانٍ وبخطَّـــي حاجبيهـــا

غير أنَّ الأدب يُعني بالانزياحات، والبحث عن الإمتاع، والتسلية بمثل هذه الروايات، على حساب أشياء عديدة.

١–سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م: ٤/ ٢٩٨.

٢–محاضرات الأدباء: ٨٧.

وتأتي بعض الصور الحسية لرسم صورة عن حمق القاضي، ومن ذلك سمة: الطُّوْل المرتبطة عند العرب بالحمق، ولذلك تقول العرب: "ترى الفِتْيَانَ كالنَّخْل، وما يُدريك ما الدَّخل"[1] والطول في القضاة يرتبط بهذه السمة أيضاً، وهي سمةٌ حسيةٌ ارتبطت بخصيصة معنوية غير مطَّردة، ولك أن تتأمل في قول أبي السكينة القاضي –وكان طويلاً– بَلَغَني أنَّ الطويل يكون فيه ثلاثٌ لابد منها...يَفْرقُ من الكلاب، ولا والله ما خَلَقَ الله دابةً أنا لها أشدُّ فَرَقاً من الكلاب، أو تكون في رجله قرحةٌ، ولا والله ما فارقتْ رجلي قرحةٌ قطُّ، أو يكون أحمقَ، وأنتم أعلمُ بقاضيكم"[2].

فهو يعْمَدَ إلى سمات الطول الجسدي، وألصق السمتين المتقدِّمَتَين به، ثم ترك للمتلقين السمة الثالثة، وهي: الحمق، وكأنه أضمر إقرار هذه السمة على نفسه، وفاق معادلة مضطربة لشخصية القاضي المتشكلة في أذهان الناس، والحصيلة أنَّ النصَّ رسمَ صورةً للقاضي الطويل، وإيراد هذه السمة جاء على سبيل التندر والسخرية، وفيه دلالةٌ على أن بعض المرويات في المدونات الأدبية، أو التأريخية تعكس صوت المجتمع، وتبرز حنقه على بعض القضاة، وتكشف ضعفهم، وعدم أهليتهم لهذا المنصب، وتنبئ عن الأثر الكارثي لتولية المنصب من ليس أهلاً لتوليه.

وربما فطن القاضي لتهاون أحد الخصوم بالأقسام ، وحمله على الصدق بدعوات تشكِّل صورةً بشعة للكاذب، وفي طياتها تحذيرٌ من مغبة التحايل، فتطوي الدعوات المتتاليات صوراً حسية، متحركةً لشخصية الخصم إذا كَذَبَ، كما حصل من أحد القضاة حين اسْتَحْلَفَ خصماً، فقيل له: إنه لا يبالي بالحلف، ولكن احمله على حلف لا

١–مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل–بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م:١/٢٤٠.
٢–نثر الدر:٣/١١٧.

يجرؤ عليه، فقال القاضي: "جَعَل الله تعالى نومك نغصاً، وطعامك غُصصاً، ومشيكَ رقْصاً، وسَلَخَكَ الله برصاً، وقطَّعَك حِصَصاً، وملأ عينيك غَمَصاً، وأدخلَكَ قفصاً، وابتلاك بهذه العصا، فأبى أن يَحلِفَ، وأذعن للحق"[1].

وإذا كان الهزل يمثل جانباً في أدبيات المجالس القضائية، فإنَّ في مُقابلها صوراً أُخرى تصوِّر القضاء تصويراً جاداً، يحيل إلى الوَجَلِ منه، والخوف من تبعاته، وهي صورٌ أقلُّ بزوغاً من الصور الساخرة المتواترة في هذا اللون الأدبي، من مثل قول أبي حنيفة ت ١٥٠هـ: "القاضي كالغريق في البحر الأخضر، إلى متى يَسبح، وإن كان سابحاً"[2]. فهو يشبِّه القاضي بالغريق، وإضافة الغرق إلى البحر الأخضر يعمِّق خطورة القضاء، ويفتح أُفقاً واسعاً للخوف منه، خوفٌ في الدنيا من ظلم الناس، وعدم تحقيق مصالحهم، وغرقٌ في الآخرة بمصير الظلم، والسباحة في الصورة تمثِّل اجتهاد القاضي في أحكامه، ومقاومته هموم القضاء، ومغرياته، وخطورته، لكنَّ الصورة تلحُّ على المصير وهو الغرق، في رغبةٍ للتحذير من هذا المصير، والتخويف منه.

٣- **التناص القرآني:** التناص هو: "تَعَالقُ نصوصٍ مع نصٍ حَدَثٍ بكيْفيَّاتٍ مُخْتَلِفَة"[3]. فالنص -كما تقول جوليا كريستيفا- هو "لوحةٌ فسيفسائية من الاقتباسات، وكلُّ نصٍ هو تَشرُّبٌ وتحويلٌ لنصوصٍ أُخرى"[4]. والمرويات القضائية ارتبطت بتأريخ القضاء الإسلامي الذي يَمْتَحُ من مصدرين أساسين هما: القرآن، والسنة، مع التصاق المنصب

١-ربيع الأبرار: ٤/ ٣٢٨.

٢-السابق: ٤/ ٣١٢.

٣-تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط:٢، ١٩٨٦م:١٢١.

٤-علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر-الدار البيضاء، ط:١، ١٩٩١م:٢١.

القضائي بالعلماء، ممن لهم دراية بالأحكام الشرعية، وقدرةٌ على استنباط الحكم وفاق الكتاب، والسنة، أو ما يسوغ فيه الاجتهاد وفاق هذين المصدرين، ومن هنا بَاتَ استحضار النَّص القرآني حاضراً في المجالس القضائية، وظَهرَ في المقاولات والمحاورات والردود، في إشارةٍ إلى قُرْبِ النص القرآني من ذهن القاضي، وقدرته على سرعة استحضاره.

وإذا كان دارسو التناص يقسّمونه إلى تناصٍ اقتباسي، وإحالي، وإيحائي[1]، فإنَّ المدونة التي بين يدي توقفني على شيوع النوع الأول، فالاقتباسي يمثِّل أبسط ألوان التناص، ويتناسب مع آنية النص الشفاهي، وأنماط بعض المتحاورين في مجالس القضاء، فالنص القرآني يحظى بقدسية كبيرة في نفوس المتلقين، واستخدامه يُمثِّل علامة الفَصْل، وبيان الحجَّة، ويستمدُّ الباثُّ منه تلك الهيمنة، فالقاضي يستحضر النَّص القرآني لاختزال الحكم، وتسويغه، وإنهاء الخصومة، أو التخويف من العاقبة، كما حصل من القاضي أبي ضمضم حين رأى في مجلس القضاء رجلاً معه ألواحٌ يوثِّق نوادره، فرماه بدواةٍ وشجَّه، ثم أمر بحبسه، فقال كاتبه: "ما أكتبُ قصته في الديوان ؟! قال :اكتب ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾[2] الحجر: ١٨.

ومما يؤكِّد سرعة استحضار النص القرآني في الحكم بين الخصوم، وحصافة القاضي، وخبرته في عدم الاتكاء على ظاهر الأمور، ما جرى بين الشعبي ت ١٠٣هـ وشريح

١-التناص الإحالي تظهر فيه دوالٌ من القرآن، وتلمع فيه لفظة من ألفاظه، أما الإيحائي: فهو أقلُّ أشكال الاقتباس وضوحاً وحرفيةً، ويراوغ المتلقي بتخفيه، وعدم وضوحه. انظر تفصيل هذه الأنواع في (التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط:١، ١٤٣١هـ/٢٠١١م).

٢-نثر الدر: ٣/ ١١٥.

ت ٧٨هـ[١] حين جاءت إلى شريح امرأةٌ تُخَاصِمُ زوجها، فأرسلت عينها، فبكت، فقال الشعبي: يا أبا أمية، ما أظنُّ هذه البائسة إلا مظلومة. فقال شريح: يا شعبي، إنَّ إخوة يوسف جاءوا ﴿أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾يوسف: ١٦.

والنصُّ القرآني يمثِّل حجةً دامغةً، وقفلاً للحديث، ويضفي على الحكم قدسية ومهابةً مستمدةً من قدسية القرآن، ويركن إليه القاضي للحسم، فإذا رُدَّت شهادة رجلٍ من دون مسوغٍ ظاهر، ورُوجع القاضي، استحضر قول الله تعالى:﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾البقرة: ٢٨٢. وليس فلانٌ ممن أرضى[٢].

والتناص الإحالي يبدو أكثر فنيةً، وأجمل توظيفاً؛ ذلك أنَّ المباشرة في النصوص الأدبية غير محمودة، وإنّما الجمال في الغموض الشفَّاف، والتَّمنُّع من إعطاء المعنى منذ الوهلة الأولى، ومما ورد في النصوص القضائية دون اقتباس مباشر قول أبي حنيفةت ١٥٠هـ حين تمنَّع من القضاء : "الضَّرب في الدنيا بالسياط أهون عليَّ من مقامع الحديد في الآخرة"٣ .فـ "مقامع الحديد" تحيل إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾الحج: ٢١.

ويبقى التناص القرآني شاهداً على قرب النص القرآني من القضاة، فهو الدستور الذي يُرْكَنُ إليه، وتستمد منه الأحكام، ولا غرابة أن يكون قريباً من القاضي في ردوده، ومقاولاته، وحُجَجه، وأحسب أنه يمثل حجَّة السُّلْطَة، وهي من أنواع الحجج المعتبرة في الدرس الحجاجي، وهي حججٌ "تغذوها هيبة المتكلم، ونفوذه وسطوته"[٤].

١–انظر :السابق: ٣/ ٢٢٦.

٢–انظر :السابق :٣/ ٢٢٤.

٣–ربيع الأبرار:٤/ ٣١٢.

٤– في نظرية الحجاج:دراسات وتطبيقات:٥٢.

٤- الحوار: يُمثِّلُ الحوار أُسَّاً من أسس المجالس عامةً، فالمجالس على اختلاف أنواعها تقوم على طرف باثٍّ، وطرفٍ مستقبل، وأطراف أخرى متلقيه، وتتعاقب تلك المهام في المجالس بشكل اطِّرادي، فجلُّ النصوص-هنا- قامت على المقاولات، والمحاورات، والتجاذبات، ولا غرو في ذلك فالمجلس القضائي يستدعي الحوار من أطرافٍ عديدة (القاضي-المدَّعي-المدَّعى عليه-الشهود- الأطراف الأخرى كالحرَّاس أو الحضور...) ويبقى القاضي محرِّكاً لهذا الحوار، ومديراً له ، ومُتَسيِّداً للمجلس في سبيل غايته الرامية إلى الوصول إلى الحقيقة، وتحقيق العدالة.

والاستنكار يأتي من عدم إعطاء الخصم فرصةً تُوَازي خصمه في الحديث، والمحاورة، فحينما تكلَّم خصمٌ، دون آخر، بَادَرَ الأخير بقوله: "أيها القاضي، تقضي على غائب؟ قال:كيف؟ قال: أنا غائبٌ إذ لم أُترك أتكلَّم"[١]

والحوار في النصوص يسهم في تدفقها، وحيويتها، ويكْسِرُ الرتابة ويُجدِّد نشاط المتلقي في حركية النص. يقول أحد الدارسين: "يُعدُّ الحوار من الوسائل اللغوية -- والتقنية في الوقت نفسه-- التي يستخدمها الأديب عند إنجازه لنصٍ أدبي، وبخاصة من هذه النصوص التي دَرَجَ النقاد على تسميتها بـ: النصوص الموضوعية-خلافاً للنصوص الذاتية التي يعدُّ الشعر من أعمدتها- فالحوار إذن، نوع من أنواع التعبير تتحدث من خلاله شخصيتان، أو أكثر حول قضية معينة. وإذا ما كان هذا الحوار فنيَّاً فإنه يتسم بالإيجاز والإفصاح والموضوعية، وهو الطابع الذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار"[٢].

١-ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٤.

٢-انظر: الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون.د. طه عبد الفتاح مقلة، مكتبة الشباب- القاهرة، ١٩٧٢م: ٩.

غير أنَّ الحوار في النصوص القضائية لازَمَ جُلَّ نماذجها، وامتاز بالقصر، والاعتماد على السؤال والجواب، وهو في بعض نماذجه أقرب إلى التحقيق، فيتجه السؤال من السلطة (القاضي) إلى المتهم، أو المدَّعي، ويحضر التوجُّس، والتحرُّز في القول؛ لأنَّ الكلمة ربما جَنَت على صاحبها، وأوردته حكماً قضائياً لا تُحمد عاقبته، غير أنَّ مدونات الأدب بحثت عن المقاولات الطريفة، التي تحمِل انزياحات عن عادة المحاورة، وربما كان منبع الطرافة والعدول من إفحام الجواب، وسرعة البديهة، فينتهي حينئذ الحوار بسرعة تُفاجئ المتلقي. من ذلك ما رُوِيَ من أنَّ ابن أسد بنى قصراً في البصرة، وفي جانبٍ منه حجرة صغيرة لعجوزٍ تساوي عشرين ديناراً، فاحتاج إليها فطلبها بمئتي دينار، فأبت العجوز، فقيل لها: إنَّ القاضي يحجر عليك لسفاهتك؛ لأنك ضيَّعت مئتين فيما قيمته عشرون، فقالت: ولمَ لا يُحجَرُ على من يَشتري بمئتين ما يساوي عشرين، فاشتريت منها بثلاثمئة دينار[1].

وربما طغى الحوار الجدلي بين الخصوم في مجالس القضاء، وهذا النمط من الحوار يعرِّفه النقاد بأنه حوارٌ تتكافأ فيه العلاقة بين المُتَحاوِرين، ويهيمن فيه الدحض، أو الإثبات، والنفي، وتقرع فيه الحجَّة بالحجة إلى أن يصل المتحاوِرَان إلى حدِّ الإقناع، أو الاتفاق على الخلاف، وهذا المشهد من الحوار يقع بين المدعي، والمُدَّعى عليه، ويحرِّكه القاضي الذي يكون طرفاً من أطراف الحوار في البحث عن الحقيقة، وسيطرأ في النصوص حوارٌ من نوع آخر يسميه بعضهم بالحوار السِّجَالي، الذي يضمُّ تهديداً، وسبّاً، وسخرية، وذلك من أحد الأطراف المتضررة من الحُكم، الساخطة عليه، أو من طرفٍ لا

١- انظر: ربيع الأبرار: ٤ / ٣١٤.

علاقة له بالتقاضي، وإنما يريد التشفِّي من القضاة، والتعبير عن صورتهم الذهنية القَّارة في بعض المجتمعات[1].

٥- السَّرْد: الحديث عن مفهوم السرد حديثٌ طويل الذيول، حيث "اتَّسَعَ اليوم مجال استخدام السَّرد، فأصبح يطلق على كلِّ ما يتعلق بالقصص فعلاً سردياً، أو خطاباً قصصياً، أو حكايةً، ويبقى السياق الذي يُستعمل فيه هو الخليق بضبط المعنى الدقيق الذي يعنيه"[2].

ومفهوم السّرد يندرج ضمن المفاهيم المستحدثة في الساحة النقدية العربية، استعمله النقاد؛ ليكون المفهوم الجامع لكلِّ التَّجلِّيَات المتصلة بالعمل الروائي أو الحكائي، وتعتمد البنية السردية على ثلاثة مكونات رئيسة: الراوي ، والمروي، والمروي له[3] ، وهذا ما سنلحظه في هذا اللون الأدبي المُعتَمِد على بنية سردية بسيطة. يقول محمد القاضي معلقاً على البنية السردية في المدونات الأدبية القديمة : "إنَّ الظاهرة التي تسترعي انتباهنا في الأخبار الواردة في مؤلفات القرنين الثالث والرابع للهجرة، وخاصة منها كتب الاختيارات من قبيل: البيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، وعيون الأخبار لا بن قتيبة والعقد الفريد لا بن عبدربه، والأمالي للقالي أنَّ القسم الأكبر منها ذو بنية بسيطة قائمة على ثنائية سردية واحدة ترد مفردةً أو تتكرَّر في الخبر الواحد...فالخبر

١-انظر أنماط الحوار حسب العلاقة بين المتحاورين والأعمال اللغوية المهيمنة في معجم السرديات، مجموعة باحثين بإشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر-تونس، ط:١، ٢٠١٠م:١٦٠

٢-السابق: ٢٦٤ .

٣-انظر: موسوعة السرد العربي، د.عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م: ٧.

عادةً يقوم على استعادة قول مأثور، أو نقل حوار طريف بين شخصين، وقد يتدنى حظ السردية في مثل هذه الأخبار، فيقتصر أمرها على ذكر القول"[1].

ويلفت النظر في مرويات المجالس القضائية بساطةُ بنيتها السردية، وبساطة تدفقها السَّردي، وقِصَرُ نفَسِهَا، كما هي عادة المدونات الأدبية القديمة في انتقاء بعض الطرائف، والأخبار ذات السمة الوجيزة التي تتجه صوب فكرةٍ عميقة في قالب وجيز، وأمام رغبة من صاحب المدونة في تجديد نشاط المتلقي، ونقله من حيزٍ إلى آخر، ومن شخصية إلى أُخرى، ومن حدثٍ جادٍ إلى آخر هازل، ولك أن تتأمل حركة السرد البسيطة في هذه الرواية: "تزوَّج بعض الخصيان في زمن شريح بامرأةٍ فأتت بولد، فتبرأ الخصيُّ منه، وترافعا إلى شريح، فألحق الولد به، وألزمه أن يحمله على عاتقه، فخرج على تلك الصورة، واستقبله خصيٌّ آخر. فقال له: انجُ بنفسك، فإنَّ شريحاً يريدُ أن يُفرّق أولاد الزنا على الخصيان"[2].

وسمة التحويل كما يسميها محمد القاضي[3] بنية ظاهرة في بعض النماذج، فشخصية القاضي الحازمة، الحاذقة، الرزينة، المُهابة تتحول إلى الحمق، والغباء، والسذاجة، فقاضي البصرة احتكم إليه حائكٌ في حمامة، فأخذها ومَسَحَ عينها، ثم أرسلها. فقال الحائك: مافعلتَ أيها القاضي؟! قال: تذهبُ إلى بيت صاحبها، وحين احتكَمَ إليه رجلان، ومعهما امرأةٌ. فقال أحدهما: أصلحك الله. هذه امرأتي تزوجتها على

١-الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، د.محمد القاضي، منشورات كلية الآداب -منوبة، ط:١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م: ٣٥٥.

٢-نثر الدر: ٣/ ١١٩-١٢٠.

٣-انظر: الخبر في الأدب العربي: ٣٦٠. يقول القاضي في توضيح معنى التحويل: "ومعنى ذلك أن الخبر يقودنا من اتصاف الشخصية بصفة إلى اتصافها بعكسها".

ستين درهماً، وهذا يدَّعي أنَّه يتزوجها على سبعين. فقال القاضي: عليَّ بثمانين.فقالا: أصلحكَ الله جئناك لتقضي بيننا، لم نجئك لتزايدنا[1].

وبنية الإلغاز[2] شائعة في بعض النصوص المروية في مجالس القضاء، فالقضية التي تصل إلى القاضي ما هي إلا لغزٌ يحتاج إلى إعمال ذهنٍ، وحِذْق، وربما إلى حيلة تُمَكِّنُ القاضي من تبديد الغموض، وصولاً إلى الحق، وقد أسلفت في ذكر عددٍ من النماذج للقاضي إياس الذي مثَّل أنموذجاً لحدة الذكاء، وحسن القضاء بين الخصوم.

وجملة من النصوص تقوم بنيتها السردية على ردة الفعل، إيجاباً أو سلباً، فالقاضي يُهيمِنُ على المجلس القضائي، والخصوم والشهود في انتظار كلمات القاضي، وأحكامه، وربما سَادَ التَّوجُّسُ والتخوف من نطق القاضي بالحكم، فإذا ما صدَرَ الحكم جاءت ردة الفعل من الخصوم بالتظلم، أو التأييد، أو التهديد، أو الدعاء أو ينزاح الرد إلى السخرية والهزلية، وربما كان الرد ذكياً ملهماً للقاضي في إعادة النظر في حكمه. فحينما شهد عند القاضي ابن شبرمة قومٌ على قراح فيه نخل سألهم عن عدد النخل، فلم يعرفوا، فردَّهم. فقال رجلٌ منهم:" أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنةً فكم فيه من أسطوانة. فأجازهم"[3].

٦-**إيجاز الأمثال وعفويتها:** من سمات الأمثال تكثيفها، واكتنازها، وإيجاز ألفاظها. وقد أشار القاسم بن سلاَّم ت ٢٢٤هـ إلى سمات المثل وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى،

١-انظر: نثر الدر :٣/ ١١٨.

٢- انظر : الخبر في الأدب العربي :٣٦١.

٣-ربيع الأبرار:٤/ ٣١٥.

وحسن التشبيه[1]، والعفوية والآنية سمةٌ أخرى للأمثال، فهي تنشأ من برقة فكرٍ أو لفتة شاعرٍ[2]، أو عمق تجربة فتصدر من قائلها، فيتلقفها المتلقي بشغفٍ، ثم تدور في المجتمع، وتصْمُدُ في سجل التاريخ، ويذوب القائل، ويصمد المَقُوْل.

وبعض الأقوال الصادرة من القضاة تتعالق مع الأمثال في هذه الخصيصة، فكلام بعضهم يأتي في قالب يقارب المثل في الإيجاز، وسرعة الجواب، وآنيته، كم أنَّ صيغة المثل تعمِّق الأثر الحجاجي للقول "فالمثل يوظف لإبراز أطروحةٍ، أو الدفاع عن رأيٍ بوصفه حُجَّة، ودليلاً قاطعاً، تكمن أهميته في تغيير المعتقدات والأفكار والسلوكات "[3].

ويبدو أنَّ خبرة القاضي، ونخبوية الانتقاء لهذا المنصب المؤثر في المجتمع، والحظوة الكبيرة عند الأمراء والوجهاء جعله منبعاً لأقوالٍ تدنو من الأمثال، واستخدامها يكون محطة من محطات الحسم، أو مناطاً من مناطات النصح والإرشاد، ولعلنا نتأمل في العبارات الآتية:

- يقول القاضي شريح: "الحِدَّة كُنية الجهل"[4]
- يقول القاضي ابن شبرمة: "من بَالَغَ في الخصومة أثِم، ومَن قصَّر خُصِم"[5].
- "إذا رأيت الرجل لجوْجَاً مُمَارياً، مُعجَباً برأيه، فقد تمَّت خسارته"[6].

١-انظر: الأمثال، للقاسم بن سلام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث-دمشق، ط:١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م:٣٤.

٢-الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، د.عبد المجيد قطامش، دار الفكر-دمشق، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م:٢٥٦.

٣-بلاغة النادرة في الأدب العربي:٢٣١.

٤-نثر الدر:٣/٢٢٠.

٥-السابق:٣/٢٢٨.

٦-السابق:٣/٢٣٠.

- يقول القاضي يحيى بن سعيد الأنصاري :"من كانت له نفسٌ واحدةٌ لم يُغيره الإقتار، ولا المال"[1].

إنَّها أقوالٌ كثيفةٌ موجزةٌ، دالةٌ على عمق التجربة والدراية، وهي علامةٌ على العناية باختيار القضاة، ودورهم الكبير في التأثير المجتمعي، ورغبتهم في إصلاح النفوس، وتهذيبها، وترسيخ القيم النبيلة، الفاضلة، وهنا تتعالق الأقوال التي تَصْدُرُ من القضاة –إنْ في عملهم، أو في الظروف الحافَّة لعملهم– بالأمثال في تكثيفها الفكري، وإيجازها الأسلوبي، وتأثيرها العميق في المتلقي، وتسهم حينئذٍ في تعزيز هيبة المتكلم (القاضي) وتعزيز سلطته .

٧–**التَّلْمِيح:** تُفضي هيبة القاضي، ومجلسه إلى الإلماح، والتكنية، في رغبةٍ من الخصوم الإمساك بفرص العدول عن القول، أو خشية ردة فعلٍ مخالفة من القاضي، وربما كان التلميح عميقاً يكشف عن حذقٍ لازَمَ بعض القضاة ، فحين ولي يحيى بن أكثم ت٢٤٢هـ قضاء البصرة استصغروا سنَّه، فقال له رجلٌ : "كم سنُّ القاضي أعزه الله؟ فقال : سنُّ عتَّاب بن أسيد حين ولاَّه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مكة"[2] وهذه الإلماحة تشي بإلماعات كثيرة ، فسنُّ عتَّاب بن أسيد –رضي الله عنه– خمسة وعشرون عاماً حين تولَّى مكة، وهنا نستحضر عُمْر الوالي على بلد مثل مكة، وصاحب القرار في ولاية عتَّاب وهو النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي سيدرك أبعاداً كثيرة لولاية هذا الشاب، فانزياح الجواب من الصراحة والمباشرة إلى استدعاء سنِّ أحد الصحابة فيه حجاجية كبيرة، إضافة إلى قلْبِ الإحراج من السائل إلى المسؤول، فالجواب المُفحِم

١–السابق:٣/٢٤٤.

٢–نثر الدر:٣/٢٢١.

جاء في قالبٍ من التلميح العميق، وأسهم في إقفال الحوار، وتلقين السائل درساً في الاستصغار.

ومن نماذج التلميح أن أحد الموالي شهد للمطلب بن عبدالله بن حنطب عند عمر بن عبدالعزيز فسأل عنه مولاه ، فقال: "هو عدلٌ مع عدلين"[1]. فالتلميح -هنا- يرفع الحرج عن المسؤول في التصريح بعدم الثقة والعدل، وفيه أدبٌ جمٌّ من المسؤول، فهو عدلٌ وهذه الجملة إيجابية للوهلة الأولى، لكن الاستدراك "مع عدلين" أسهم في تغيير مسار النَّص تماماً إلى السلبية، واستطاع من خلال التلميح رفع الحرج عن نفسه، والعدل في جوابه.

وتبقى قضيةٌ مهمةٌ لا بد من التلويح بها قبل إنجاز هذه المقالة، وهي **قضية تداخل الهزْل والجدِّ في المدونة** التي بين يدي، وفي نظائرها من مثل مجالس النحاة، والفقهاء، والخلفاء، وغيرهم مما تكتظ به مدونات الأدب، وسأبدأ من دائرة كبرى تقوم على حاجة النفس البشرية إلى الاعتدال، والمزاوجة بين الجدِّ والهزل، والعمل والراحة، والكدِّ والاستجمام، وهذا الأصل موجود في الشرع، وتمثله المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حين مازح أصحابه، واستمع إلى بعض أحاديثهم الجاهلية في المسجد، وضحك في مواقف عديدة حتى بدت نواجذه. يقول أبو الدرداء -رضي الله عنه- " إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل؛ ليكون أعون لها على الحق"[2].

ثمِّ إنَّ فلسفة امتزاج الجدِّ بالهزل أساسٌ في مدونات الأدب، فهي قائمة على التقاط الانزياحات الجمالية والطرائف الجاذبة، ولعلَّ خير ما يمثِّل هذه الفلسفة إمام الأدباء

١-ربيع الأبرار: ٤/ ٣٣٧.

٢-تاريخ دمشق ، لابن عساكر، تحقيق علي شيري، دار الفكر-بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٤٦/ ٥٠١.

الجاحظ ت ٢٥٥هـ فيما تركه من مؤلفات .تقول بسمة عروس :" لعلَّ أهم ما يَسِمُ الفكر الجاحظي إلى جانب بلْوَرَة نظرية حول البيان وما يرتبط به: التعبير عن تصور طريف حول الجد والهزل يتمثَّل خاصةً في دفاعٍ عن مذاهب الهزل، ودعوة إلى ضرورة المزج بين الهزل والجد"[١] .

لذلك نَجِدُ الجاحظ يُفْصِحُ عن منهجه في المزج بين الجد والهزل في مقدمة كتابه (الحيوان) فيقول:" وهذا كتاب موعظة وتعريف وتفقّه وتنبيه. وأراك قد عبته قبل أن تقف على حدوده، وتتفكّر في فصوله، وتعتبر آخره بأوله، ومصادره بموارده، وقد غلّطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من مزح لا تعرف معناه، ومن بطالة لم تطّلع على غورها؛ ولم تدر لم اجتلبت، ولا لأيّ علّة تكلّفت، وأيّ شيء أريغ بها، ولأيّ جدّ احتمل ذلك الهزل، ولأيّ رياضة تجشّمت تلك البطالة؛ ولم تدر أنّ المزاح جدّ إذا اجتُلب ليكون علّة للجدّ، وأنّ البطالة وقارٌ ورزانةٌ، إذا تكلّفت لتلك العافية "[٢].

فهو يدافع عن هذا المنهج؛ لأنَّ في الهزل ملاذاً إلى الجد، ودافعاً إليه، ومروجاً له، وهذه الفلسفة امتدت إلى عددٍ من مدونات الأدب التي اعتمدت على تجاور هذه الثنائية (الجد /الهزل) غير أنَّ منظومة الثقافة العربية مهما اتَّسعت لبلاغة الهزل؛ رغبةً في الترويح، وكسر الرتابة، فقد ظلَّت على حذرٍ من فعل الضحك، وتأهبت للالتفاف عليه، وتجريمه، وربما تحريمه، وهذا الأمر ليس من خصائص الثقافة العربية، فحسب بل هو

١–التفاعل في الأجناس الأدبية:مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس هجرياً، بسمة عروس، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات–منوبة، ٢٠٠٨م:٤٠٧.

٢–الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل –بيروت، ط:١، ١٩٨٨م :٣٧/١.

مكـونٌ لأنـساق تقليديـة حجبـت مـن خلالهـا التعامـل مـع النـوادر المـضحكة، وأخّـرت مأسـسة جنسٍ أدبي كالنادرة[1]

إنَّ وفـرة المرويـات الهزليـة فـي المـدونات الأدبيـة، وخـصوصاً فـي كتـابٍ مثـل كتـاب (البخلاء) للجاحظ ت ٢٥٥هـ جعّل النقـاد يلتفتون إلى مقـام التندر، ومجـال الهـزل، ويرونـه من المعايير المهمـة فـي صياغـة إطارٍ للجـنس الأدبي، فالنـادرة الأدبيـة–مـثلاً– جـنسٌ أدبيٌ جَاهَدَ بعض النقاد في استقلاله عن غيره، ورأوا أنَّ الهزليـة أحـد مكوناتـه الأسـاس " فهـي تعتبر الثابت النوعي لجنس النادرة؛ لأنها لا تستغني عن الفكاهة، وتفجير الضحك"[2].

فالإطار الموضوعي من حيث انجذابه إلى الجد أو الهزل يمثل أداة من أدوات تصنيف الأجناس الأدبية، وتحديد نوعها، وفي هذا السياق تقول بسمة عروس: "وتمتدُّ جذور هـذه المـسالة فـي نظـر بعـضهم إلـى بَـسْط أصـولٍ نظريـةٍ تـشكِّل خلفيـة لتـصنيف أجناسـي، وتقـسيم للأنـواع انطلاقـاً مـن مبـدأ التفاعـل بـين قطبـي الجـد والهـزل، حيـث ينـتظم الجـد مختلـف مكونـات الثقافـة العالمـة وعناصرها ممـا يـدخل ضـمن آداب الـدين وتوابعـه ومـا يـسمى علمـاً نافعـاً، وينـتظم الهـزل شـتى الأنـواع ممـا يـردُّ إلـى اللهـو والفكاهـة والنـادرة ومذاهب السخرية"[3].

وفـي مسلك الهـزل طريقـةٌ لتعريـة الواقـع، والكـشف عـن المجتمـع، والوقـوف علـى دقائق الحياة المجتمعية، وطرائق التفكير عند طبقات مختلفة من المجتمع، وفتح نافـذة

١–انظر: الأدب العربي ونظرية الأجناس: القصص، فرح بن رمضان، دار محمد الحامي–صفاقس، ٢٠٠١ م: ١١٣.

٢–بلاغة النادرة في الأدب العربي :١١١.

٣– التفاعل في الأجناس الأدبية:مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس هجرياً: ٤٠٩.

على التجاذبات الحياتية، وتقريبها إلى المتلقي، ويؤكد هذا ما قدَّم به إبراهيم النجار كتابه (شعراء عبّاسيُّون منسيون) حين جعل من مقاصد تأليفه: الكشف عن مسلكٍ من مسالك الشعر خرج فيه أصحابه عن المسلك الرصين، وانحازوا إلى مسلك الهزل، والإحماض، والممازحة، ورأى أن ذلك قد يكون أحسن طريقة لتعرية الواقع، والكشف عما استتر من متناقضاته، وقبائحه[1].

إنَّ مُدَوَّنَات الأدب قائمة على حسن الاختيارات، وجودة التصنيف، وتَنَوُّع المرويات، ومراوحة الجدِّ مع الهزل، وهي قاعدة تنسجم مع غايةٍ من غايات الأدب في التسلية والإمتاع، ولا يكون ذلك إلا بالبحث عن النوادر المخالفة، التي تباغت المتلقي، وتخالف توقعاته، فالقاضي، ومجلسه يتدثَّران بسمة متواترة هي الهيبة والوقار وقضاء حاجات الناس، وإقامة العدل، وكتب الأدب التقطت مرويات توصِّف حدِّة ذكاء القاضي، وقدراته المتناهية في الوصول إلى الحقيقة، أو أخذت اتجاهاً آخر في رواية حمق القضاة على غير العادة، أو كسر هيبة مجلسه، ويتأتى هذا من ضعف القاضي، وعدم التوفيق في اختياره، أو من بساطة الخصوم، وعفويتهم، وهذه الانزياحات تلقفتها كتب الأدب في سيرورتها الانتقائية للجمالي، أو النادر.

ولعلِّي أسجل بعض النتائج المهمة في نهاية هذه المقالة، ومن أبرزها:

- أنَّ المجالس الجَّادة في العادة، كمجالس القضاة، والفقهاء، والنحاة لا تخلو من انزياحٍ من مقام الجد إلى مقام التندُّر، والضحك، وهنا تحضر الرواية، وتتوارد الأدبيات، وهذا المقام يحتِّم فحص المرويات في تلك المجالس، وتقصِّي ملامح التمايز لكل مجلس، فمجالس القضاة تختصُّ بسمةٍ تتمايز عن مجالس النَّحاة، وهذه المقامات التخصصية

١-انظر: شعراء عباسيون منسيون، إبراهيم النجار، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط:١، ١٩٩٧م:١/٢٢.

تتفاوت في موضوعاتها، ولغتها، وأدواتها، وهذا يؤكِّد تأثير التَّخصص والمهن في تشكُّل الخطاب الأدبي.

- التأكيد على أنَّ أدبيات المجالس القضائية تمثِّل بيئة خصبة للدراسة الحجاجية، وهذه النتيجة أشار إليها الدكتور عز الدين الناجح أيضاً في دراسته الحجاجية المعنونة بـ (الحجاج في الخطاب القانوني)[1] وفي هذا الكتاب تَنَاوَلَ الخطاب القضائي، وألحَّ على أنَّ الخطاب القضائي والقانوني منبعٌ مهمٌ لاسْتِنبَات دراسات حجاجية عديدة.
- أنَّ النَّص المهيمن على المجالس القضائية هو النَّص الشفاهي، وهو نصٌ ناصعٌ للتعبير عن المجتمع، وطبقاته، وحواراته العفوية، ومنزلة القضاة، وصورتهم الذهنية، ولذلك فإنَّ دراسة اللغة التواصلية، وتطبيق المنهج التداولي سيكون ناجعاً، ومهماً للكشف عن نتائج طريفة، وجديدة في المجالس التَّخصصية.
- تشكِّل النادرة الأدبية حيزاً لا بأس به من نصوص المجالس القضائية، ويبقى تردُّد بعض الدارسين في استقلالها الأجناسي مناطاً من مناطات الدراسة والتحقيق، فهي –من وجهة نظري– جديرة بالاستقلال، وبخاصةٍ إذا استصحبنا استبعاد الحدود الصارمة بين الأجناس، والاقتراض المشروع بينها، ويبقى الإطار المحدِّد لتمايزها عن غيرها محتاجاً لمزيدٍ من العناية والاهتمام، وربما ينطبق هذا الكلام على (الجواب المفحم).

١– الحجاج في الخطاب القانوني: مشروع قراءة، عز الدين الناجح، نشر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في تونس، ٢٠١٢م.

إنَّني بهذه المقالة أبتغي فتح شهية الدارسين والنقاد إلى مزيدٍ من البحث والتنقيب في كنوز تراثنا العربي، وفتح آفاقٍ بحثية جديدةٍ لمرويات الأدب في مجالس القضاة، والنحاة، والمعلمين من أرباب المهن، ودراستها دراسة تداولية تقوم على مفهوم الكفاءة التواصلية، والسلوك، والأفعال الكلامية، ومعرفة مدى تأثير اللغة في السلوك الإنساني، ومحاولة البحث في غايات امتزاج الجد بالهزل في أدبنا العربي، وربطه بالسلوك الإنساني العام، والاعتدال الكوني، ومدى نجاعته في ضبط الجدِّ، والنأي عن الكلل.

أسأل الله التوفيق والنجاح، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

أبرز المصادر والمراجع:

- أخبار القضاة، محمد بن خلف بن حيان وكيع، منشورات عالم الكتب –بيروت، د.ت .
- الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء: العاهات والمساوئ الإنسانية ومكانتها في الأدب الراقي، يوسف سدان، منشورات الجمل، ط:١، ٢٠٠٧م .
- أدبية النادرة:دراسة في بخلاء الجاحظ، حافظ الرقيق،دار صامد للنشر والتوزيع–صفاقس، ط:١، ٢٠٠٤م.
- الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، د.عبد المجيد قطامش، دار الفكر –دمشق، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الأمثال، للقاسم بن سلام، تحقيق : عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث–دمشق، ط:١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- البخلاء، للجاحظ، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، ١٩٦٣م.
- بلاغة النادرة في الأدب العربي، د.سليمان الطالي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع–عمان، ط:١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- بلاغة النادرة، د.محمد مشبال، أفريقيا الشرق–الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مراجعة: طه عبدالرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية–القاهرة، ط:١، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.
- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي–الدار البيضاء، ط:٢، ١٩٨٦م.
- التفاعل في الأجناس الأدبية:مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس هجرياً، بسمة عروس، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات–منوبة، ٢٠٠٨م.
- التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط:١، ١٤٣١هـ /٢٠١١م).
- الحجاج عند أرسطو مضمن في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو ألى اليوم، هشام الريفي، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس.

- الحجاج في الخطاب القانوني: مشروع قراءة، عز الدين الناجح، نشر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في تونس، ٢٠١٢م.
- الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث–إربد، ط:٢، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل –بيروت، ط:١، ١٩٨٨م .
- الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، د.محمد القاضي، منشورات كلية الآداب – منوبة، ط:١، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.
- الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، د.عبد الهادي الشهري، الانتشار العربي– بيروت،ط: ١، ٢٠١٣م.
- الذخيرة، للقرافي، دار الغرب الإسلامي–بيروت ١٩٩٤م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري، تحقيق: عبدالأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي، محمد عبدالكريم البكر، الزهراء للإعلام العربي، ط:١، ١٩٨٨م .
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م .
- شعراء عباسيون منسيون، إبراهيم النجار، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ط:١، ١٩٩٧م.
- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر–الدار البيضاء، ط:١، ١٩٩١م.
- في نظرية الحجاج:دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط:١، ٢٠١١م .
- مارواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين ذم القضاء وتقلد الأحكام، وذم المكس، تحقيق: مجد السيد، دار الصحابة للتراث–طنطا،ط:١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل–بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، دار الآثار–بيروت، د.ت.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق:فريد الجندي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- معجم السرديات، مجموعة باحثين بإشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر–تونس، ط:١، ٢٠١٠م.

- موسوعة السرد العربي، د.عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م.
- نثر الدر، للآبي، تعليق :مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٧م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، تحقيق:يحيى الشامي، دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

* * *

- Wakee`, M. (n.d.). *Akhbaar al-quDHaat*. Beirut: Daar Aalam Al-Kutub.

* * *

- Ibraheem, A. (2005). *Mawsoo`at al-sard al-arabi*. Beirut: Al-Mu'assasat Al-Arabiyyah.
- Kristeva, J. (1991). *Elm al-naSS*.F. Al-Zaahi (Trans.). Casablanca: Daar Tobqaal.
- *Ma rawaah al-asaaTeen fi adam al-majee' ela al-salaaTeen*. (1991). M. Al-Sayyid (Ed). Tanta: Daar Al-SaHaabah li Al-Turaath.
- Mishbaal, M. (2007) *Balaaghat al-naadirah*. Casablanca: East Africa.
- MuftaaH, M. (1986). *TaHleel al-khiTaab al-shi`ri.* Casablanca: Al-Markaz Al-Thaqaafi Al-Arabi.
- QaTaamish, A. (1988) *Al-Amthaal al-arabiyya*h. Damascus: Daar Al-Fikr.
- Sadaan, Y. (2007). *Al-Adab al-arabi al-haazil wa nawaadir al- thuqalaa'*. Al-Jamal Publications.
- Salaam, Q. (1980). *Al-Amthaal*. A. QaTaamish(Ed.). Damascus: Daar Al-Ma'moon li Al-Turaath.
- Sawlah, A. (2011). *Fi nazhariyyat al-Hijaaj: diraasaat wa taTbeeqaat*. Daar Miskilyaani.
- *TabSirat al-Hkaam fi uSool al-aqDHiyah wa manaahij al-aHkaam* (1986). T. Sa`ad (Ed). Cairo: Maktabat Al-Kulliyyaat Al-Azhariyyah.
- Waasil, E. (2011). *Al-TanaaS al-turaathi fi al-shi`r al-arabi al-mu`aaSir*. Daar Ghaidaa'.

- Al-Nuairi (2004). *Nihaayat al-arab fi funoon al-adab*. Y. Al-Shaami (Ed). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-QaaDHi, M. *Al-Khabar fi al-adab al-arabi.* Manouba: Publications ofthe Faculty of Arts.
- Al-Qiraafi (1994). *Al-Dhakheera*h. Beirut: Daar Al-Gharb Al-Islaami.
- Al-Reefi. H. (2012) *Al-Hijaaj `indaAristotle.* H. Smood (Ed). Manouba: Publication of Faculty of Arts and Humanities.
- Al-Rqeeq, H. (2004). *Adabiyat al-naaderh: diraasah fi bukhalaa' al-jaaHizh*. Sfax: Daar Saamid.
- Al-Shihri, A. (2013). *Al-KhiTaab al-Hijaaji`inda ibn Taimiyyah*. Beirut: Daar Al-Intishaar Al-Arabi.
- Al-Taali, S. (2015). *Balaaghat al-naadirah fi al-adab al-arabi*. Amman: Daar Knooz Al-Ma`rifah.
- Al-Zamakhshari (1992). *Rabee` al-abrar wa nusoos al-akhbaar.* A. Muhannaa (Ed). Beirut: Mu'assasat Al-A`lami.
- Aroos, B. (2008). *Al-Tafaa`ul fi al-ajnaas al-adabiyyah*. Manouba: Publications of the College of Arts. .
- Group of Researchers under the supervision of Al- QaaDHi, M. (2010). *Mu`jam al-sardiyyaat*. Tunisia: Daar Muhammad Ali.

List of References:

- Al- Maidaani (1996). *Majma` al-amthaal*. M. Ibraheem (Ed). Beirut: Daar Al-Jeel.
- Al-Aabi. (1997). *Nathr al-durr*. Damascus: Publications of the Syrian Ministry of Culture.
- Al-ASfahaani, R. *MuHaaDHaraat al-udabaa' wa muHaawaraat al-shau`araa' wa al-bulaghaa'*. Beirut: Daar Al-Aathaar.
- Al-Bakr, M. (1988). *Al-SulTah al-qaDHaa'iyyaa wa shakhSiyyat al-qaaDHi fi al- nizhaam al-islaami.* Al-Zahraa' li Al-l`laam Al-Arabi.
- Al-Dhahabi (2001). *Siar a`laam al-nubalaa'*. Mu'assasat Al-Risalaah.
- Al-Duraidi, S. (2011) *Al-Hijaaj fi al-shi`r al-arabi (2nd ed.)*. Irbid: Alaam Al-kutub Al- Hadeeth.
- Al-Hamawi, Y. (1990). *Mu`jam al-buldaan*. F. Al-Najdi (Ed). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah..
- Al-JaaHizh (1963). *Al-Bukhalaa'*. Daar Al-Yaqazhah Al-Arabiyyah.
- Al-JaaHizh (1998). *Al-Haiwaan*. A. Haaroon (Ed). Beirut: Daar Al-jeel.
- Al-NaajiH, I. (2012) *Al-Hijaaj fi al-khiTaab al-qaanooni*. Tunisia: College of Humanities and Social Science.
- Al-Njaar, I. (1997). *Shu`araa' abbaasiyoon mnsiyoon*. Beirut:Daar Al Gharb Al-Islami

Literary Depiction of Judicial Sessions
Interaction betweenHumour and Seriousness

Dr. AbdulKareem bin Abdullah Al-AbdulKareem
Department of Literature Arabic Language College
Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This research attempts to shed light on the literature of judicial sessions,and the tension between seriousness represented by the judge with his venerable character and humor represented by the various deviations in depicting some foolish judges, some kinds of strange judgments or practices which contradict the perception of the judiciary. The study sample may include someexemplarswhich illustratethe cleverness of judges, in addition to the know-how they use in order to reach the truth. In his introduction, the researcher objectively describes the most prominent issues and ideas that are considered recurrentphenomena in literature records. Among which are, escaping from justice, the image of the foolishjudge,the judge'sweakenesstowards womenseduction, strange testimonies and other issues which are briefly mentioned. This aims to present a variety of texts to the reader and cover all relevantaspects. Then, the researcher carefully examines the most prominent distinctivefeatures of these texts, in an attempt to highlight the peculiarity of this matter. This is because the narrated texts in judicial councils are a rich source for the application of the argumentative approach. Also, intertextualityusing the Quran represents a tool for persuasion, submission or dismissal. In addition to the brief rich forms which converge to a large extent with proverbs. These forms also emphasize the importance of the rich term in the judicial council and its impact on the judge. Technicallythe researcher describes the anecdote as an independent literery genre and the extent to which the peculiarity of this genre is applicable on some texts. The study concludes by approaching in its style the phenomenon of combination and interactionbetween theserious and the humorous maqamat in literature. In this study, the researcher wishesto encourage both researchers and critics to conduct further research, excavating in the rich treasures of Arabic heritage. He also wants to open research horizons for juridicial councils literature in particular, and other councilsliterature in general. Moreover, the study seeks to adopt aninteractiveapproach which is based on the concept of communicative competence, behavior, verbal actions, bringing to awareness the impact of language on human behavior. Furthermore, the study aims at probing the objectives of combining tragedy (seriousness) with comedy (humor) in Arabic literature and relating them to general human behavior, in addition to universal moderation and its effectiveness in controlling seriousness and avoiding boredom.

لسانيات المتون وتطبيقاتها في تعليم اللغة الثانية

د . صالح بن فهد العصيمي
معهد تعليم اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية